فقه الوفاق .. متى نحييه .. ؟!

الشيخ الدكتور / عبد العزيز بن مصطفى كامل
دكتوراه في الشريعة جامعة الأزهر
وعضو هيئة تحرير مجلة البيان

أعده للنشر في الفوائد / محمد جلال القصاص

بسم الله الرحمن الرحيم

أصبح الإجماع الدولي على استهداف الإسلاميين أمراً محيراً ، وأصبح انحياز الملحدين إلي جانب النصارى ، وانسجام النصارى مع اليهود ، وتلاقي اليهود مع الوثنيين ، واتفاق أهل النفاق مع كل هؤلاء على ضرب الإسلام وإذلال المسلمين ؛ من المحن الدهماء ، والفتن التي تدع الحليم حيران ، فحتى الدعوات السلمية ، والجهود الخيرية ، والمقاومات المشروعة للاحتلال في مثل فلسطين و الشيشان و الفلبين و العراق و أفغانستان ، أصبح كل ذلك محرَّماً مجرَّماً ، ومعارضاً مطارداً ! إنه إجماع غير مسبوق للاعتداء على المسلمين ؛ فقد كان الأعداء يتناوبون ذلك الاعتداء على بعض الأطراف ولكنهم يَدَعون بعضها ، ويصادمون بلداً ويصالحون آخر ، أما اليوم فهم مجمعون ومجتمعون على الحرب والضرب في كل حدب وصوب [أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ] (الذاريات : 53) .

ولكن دهشتنا وحيرتنا ، وانزعاجنا واستغرابنا من ذلك (الإجماع والاتفاق) لا يدانيه في الدهشة والانزعاج ، والحيرة والاستغراب ، إلا ما يقابله ما يشبه (الإجماع) - من هؤلاء المستهدَفين - على عدم الاجتماع ، من شِبه الاتفاق منهم على عدم الاتفاق .

لا أقصد على مستوى الزعامات والقيادات فقط ؛ فذلك أمر قد كثر الكلام فيه ، وسبق التعرض له ، ولكن أقصد على مستوى القواعد العريضة ، والبُنى التحتية لهؤلاء الإسلاميين المستهدَفين .

انظر حولك ترَ عجباً : جهوداً مبعثرة ، وإمكانات مهدرة ، مع صفوف متناثرة ، وقلوب متناكرة ! .. ما هذا يا أمة الإسلام ؟! أفي مثل ذلك الليل البهيم نظل نسهر على التخاصم والتنافر ، وننام على التنازع والتدابر ؟! أين الصف المرصوص ، أين قلب

الرجـل الواحـد ، وتـداعي الجسـد الواحـد ، وخفـض الجناح ولين الجـانب ، والتـآخي والتصـافي والـتراحم والتواد ؟! حقاً لقد صنع الشقاق والجفاء منـا غثـاء ، حتى تعاوت علينا كلاب الأرض ، وتعاونت علينا ذئابهـا ، وصدق فينا قول الرسول صلى الله عليه وسـلم : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة علـى قصعتها ، قالوا : أوَ مِنْ قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا ، بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السـيل »[1] [1] ، نعـم نحـن كـثير كـثير .... ولكـن الشـقاق والجفاء حوَّلنا إلى ذلك الغثاء .

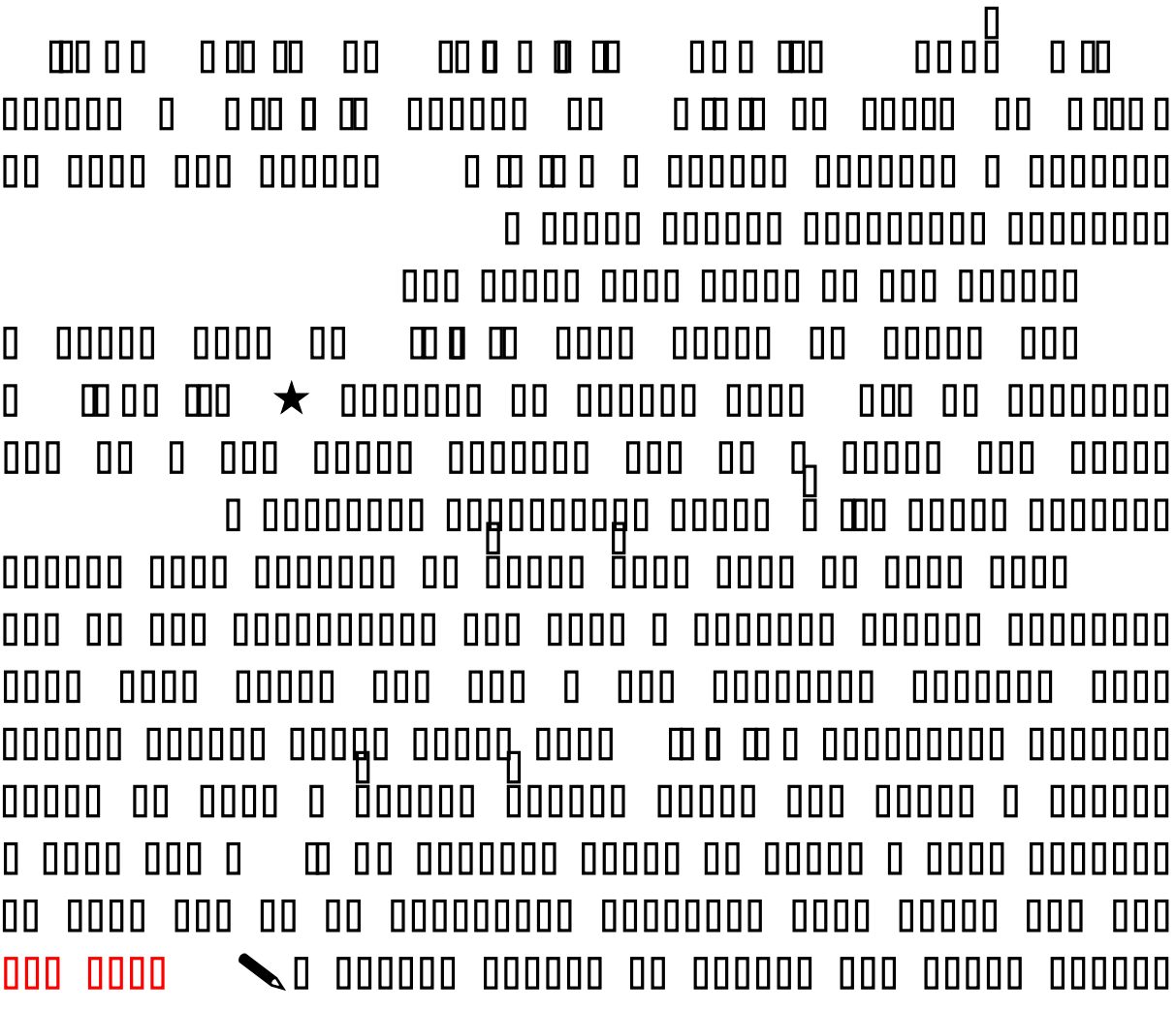

[illegible] ☎ [illegible]

[illegible] ☎ [illegible] ✍

[illegible] ★ [illegible] ✉ ✎ [illegible] ★ [illegible] ★ [illegible] ☎ [illegible] ★ [illegible] ★ [illegible] ✉ ✎ [illegible] ★ [illegible] ★ [illegible] ★ [illegible]

[illegible] ✉ [illegible] ★ ✉ [illegible]

[2] (5) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، ح (459) ، ومسلم في كتاب البر والصلة ، ح (4684) ، والإمام أحمد في مسنده ، ح (944) .

[illegible] ✉

[illegible] ☎ [illegible] ☎ [illegible] ☎ [illegible] ☎ [illegible] ☎ [illegible] ☎ [illegible] ☎ [illegible] ☎⊛ [illegible] ☎⊛ [illegible] ☎⊛ [illegible] ☎⊛ [illegible] ⊛ [illegible] ☎

[illegible] ☎ [illegible] ✉

[illegible] ★ [illegible] ★ [illegible]

[illegible] ✉

[3] (6) القدرية الاعتقادية تمثلها فرقتان ؛ فهناك القدرية المغالون في إثبات القدر ، القائلون بأن الإنسان مجبر على أفعاله (مسيَّر) وهم أتباع الجهم بن صفوان ، ويعرفون أيضاً بالجبرية ، وهناك القدرية النافون للقدر ، القائلون بأن الإنسان يستقل بعمله في الإرادة والقدرة ، وهذه القدرية هي التي دعا إليها معبد الجهني و غيلان الدمشقي

[4] . تفسير الطبري للآية : 103 من سورة آل عمران ، والنقل من طبعة دار الحديث بالقاهرة (3/21) .

[5] تفسير التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور ، (3/30 ، 31) .

[6] (9) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، للعلامة أبي السعود (1/526) .

[7] (10) من أحسن ما ألف في ذلك كتاب الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي ، للدكتور صلاح الصاوي .

[8] في ظلال القرآن ، لسيد قطب (1/ 436) .

9 (12) أخرجه البخاري في الاعتصام ، ح (6775) .

[10] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ح (17793) ، وقال الألباني قوي بطرقه وحسن بشواهده ، انظر : السلسة الصحيحة ، (998 ، 1728) .

[11] أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، ح (5605) ، ومسلم في البر والصلة ، ح (4650) .

[illegible]

12 أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، ح (5605) ، ومسلم في البر والصلة ، ح (4641) .

13 (16) أخرجه الترمذي في البر والصلة ، ح (1860) ، وأحمد في مسنده ، ح (14288) وقال الألباني صحيح (السلسلة الصحيحة/ 2947) .

[14](17) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، ح (4525) ، ومسلم في البر والصلة ، ح (4682) .

[15] (18) تفسير ابن كثير للآية 1 من سورة الأنفال ، (1/316) طبعة الندوة العالمية .

أين موقع التحصين من تلك المخاطر في مناهجنا التربوية ، وبرامجنا التعليمية والتثقيفية ؟! أظن أن أمامنا الكثير من الوقت ، حتى تحل (ثقافة الإخاء) أو (فقه الوفاق) في قلوب وعقول الناشئين والمُنشِّئين ؛ لأن الثقافة المعاكسة ، والفكر المخالف في ذلك ، قد كاد يستفرد بالعقول والقلوب حيناً من الدهر ، حتى لقد أثمر هذا الخلل أحوالاً من الخصام شبه العام في غير ما قضية ، بما يستوجب بحكم الشرع والدين إجراء مصالحة شاملة بين أنصار الشرع وأهل الدين ترغم أنف الشيطان ، وتحبط خطط الأعداء .

الشعيرة الغائبة :

لا بد من عزمه أكيدة على إحباط خطط الشياطين في التفريق بين المؤمنين ، لا بد من أن ينتدب قوم من العقلاء والصلحاء لمهمة إصلاح ذات البين بين خاصة الأمة فضلاً عن عامتها .
لا بد من بذل الجهد واستفراغ الوسع في الإصلاح بين طوائفها وفصائلها وجماعاتها ومنظماتها .
وما نقوله ليس اختراعاً لاقتراح ، بل هو تذكير بشعيرة منسية ، يبدو أن الخلافات شغلتنا عنها ، والمزايدات زهدتنا فيها .
إن الإصلاح بين المؤمنين فريضة أخرى لا تقل أهمية عن فريضة الاعتصام بحبل الله ؛ فقد خاطب الله تعالى خير أجيال البشر في زمان خير البرية صلى الله عليه وسلم آمراً إياهم بأن يتقوا الله في الإصلاح ، ويندبوا له من يقوم به ، فقال جل شأنه : [فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ](الأنفال : 1) ، وهل هناك أقدر على الإصلاح في الأمة منا نحن الإسلاميين ؟ وهل هناك أحوج إلى الإصلاح في الأمة منا نحن الإسلاميين ؟ إن الآية أمر إلهي لنا ، وللأمة

جميعاً بأن نبادر إلى رفع أسباب الشقاق ، وإحلال أسباب الوفاق .
يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية : [فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ](الأنفال : 1) ، « أي : واتقوا الله في أموركم ، وأصلحوا فيما بينكم ، ولا تظالموا ، ولا تشاجروا ؛ فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه » ثم أورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله : « هذا تحريج من الله ورسوله أن يتقوا الله ويصلحوا ذات البين »[16] .
وانتداب طائفة من الإسلاميين العاملين لبذل جهد إصلاحي بين الفصائل الإسلامية ؛ ليس كما يظن البعض كتابة على الرمال أو نطحاً للجبال ؛ فهذا من تسويلات الشيطان وتحريشاته العنيدة ، بل إن مجهودات المصالحة لا بد أن تعود بخير ؛ لأن الله تعالى قال في شأن الزوجين : [وَالصُّلْحُ خَيْر] (النساء : 128) ؛ فما بالنا بخيرية الصلح بين جماعتين أو اتجاهين أو أكثر أو أقل ؟
إن إصلاح ذات البين لا بد أن تكون له آثاره وثماره ، وقد يكون نصيب المصلحين ، ما يعود على أشخاصهم هم من نفع وبر فضلاً عن دفع الشر والضر ؛ فالله تعالى يقول : [لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً](النساء : 114) ، فهل يُزهد في هذا الأجر العظيم ، وهل يفرط حريص على الخير في تلك الفضيلة الكبرى التي جاء الخبر المعصوم بأنها الأفضل بين الأفضل من الأعمال ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى ! قال : صلاح ذات

---

[16] (19) أخرجه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع ، ح (2432) ، وقال الألباني : حسن لغيره ، انظر : صحيح الترغيب والترهيب ، ح (2827) .

البين ؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول . [17]« تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين
. بلى والله .. تحلق الدين وتميت الشعور

هذا البراء ، فأين الولاء .. ؟

لا أدري ، لماذا أشعر كثيراً بأننا شطرنا تلك القضية في واقعنا الإسلامي إلى شطرين : أحدهما : فاعل . حيْ ، والثاني : خامل ضامر
أعني بذلك أن مسائل الولاء ، لم تحظ دعوياً وعلمياً بذاك الاهتمام الذي نالته مسائل البراء ، بل تكاد قضايا الولاء الشرعي للمؤمنين بأحكامه ومسائله تذوب وتتوارى خلف قضايا البراءة الشرعية من الكافرين ، مع أن هذه لا تقل أهمية عن تلك ، ولهذا اقترنت هذه دائماً بتلك ؛ فهل السبب في ذلك هو أن الأعداء أفلحوا في إحياء مشاعرنا في البراءة منهم بكثرة اعتدائهم وكشفهم عن أحقادهم ؟! ...
ربما ، وهل ساعد على ذلك أن علماء دُعاة الصحوة ركزوا كثيراً في طروحاتهم وأدبياتهم على إحياء البراء قبل الولاء والإخاء ؟! ...
. قد يكون
الحقيقة الضائعة وسط ذلك ، هي أن البراء بلا ولاء لن يجدي كثيراً في إنهاضنا من كبواتنا ؛ فقضية الولاء ليست ذات بعد عقدي فقط ، ولكن لها أيضاً بُعد واقعي ، نحياه منذ عهود طويلة ، فأنا أزعم ، بل دعني أقول : أجزم بأن التفريط في أسباب الولاء والإخاء بين المسلمين هو تفريط في رأس مالنا ، وفي أكبر أسباب استجلاب النصر لنا .
فعندما امتن الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه أمدَّه بكل أسباب النصرة والتأييد جعل كل تلك الأسباب : من تنزيل الملائكة ، وتثبيت الأقدام ،

---

[17] (20) أخرجه مسلم في البر والصلة ، ح (4677) .

وإنزال الغيث ، وتنزل السكينة على قلوب المؤمنين ، مع إلقاء الرعب في قلوب الكافرين جعل ذلك كله في كفة ، وجعل التأييد بالمؤمنين المتآخين المتآلفين في كفة أخرى ، فقال سبحانه : [هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ](الأنفال : 62-63) ؛ فالله تعالى أيد رسوله صلى الله عليه وسلم بمؤيدات كونية وعلى رأسها الإمداد بالملائكة ، ومؤيدات شرعية وعلى رأسها التأييد بالمؤمنين المتآلفين الذين ألف بينهم هذا الدين بتشريعاته السامية .

قال الشيخ السعدي - رحمه الله - في تفسيره لتلك الآية : « أي أعانك بمعونة سماوية ، وهو النصر منه الذي لا يقاومه شيء ، ومعونة بالمؤمنين ، بأن قيضهم لنصرك [وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ]فاجتمعوا وائتلفوا وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم »[18]

إن روح التحقير أو التنفير من شأن ذلك الاجتماع والائتلاف ، هو تفجير لأكبر مستودعات القوة لدى المسلمين ، وبعث لأقوى عوامل الفتنة فيما بينهم ، مهما كان المسمى الذي تتسمى به تلك الروح .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : « كل ما أوجب فتنة وفرقة ، فليس من الدين ، سواء كان قولاً أو فعلاً »[19] .

والذين يطوِّلون ذيل البراء ، حتى يمدونه إلى ساحة الولاء وبيت الإخاء بذرائع خلافية ، وفي مسائل قد تكون اجتهادية ، هؤلاء ينزلون ألواناً من العداوة إلى غير محلها ، مع أننا لسنا أحراراً في أفعال قلوبنا من محبة أو بغضاء ، بل نحن متعبدون بألا نحب إلا لله ، ولا نبغض إلا لله .

---

[18] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ السعدي ، (3/186) .

[19] (22) الاستقامة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، (1/39) .

وتعدي الحدود الشرعية في ذلك وبخاصة في المسائل الاجتهادية لون من البغي وصنف من العدوان .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : « الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي ، لا لمجرد الاجتهاد ، كما قال تعالى : [وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ](آل عمران : 19) ، وقال : [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ](الأنعام : 159) ، وقال : [وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ](آل عمران : 105) .

وقد أرسى شيخ الإسلام قاعدة ذهبية في التعامل بين المسلمين على أساس مراعاة الموالاة الإيمانية التي عقدها الله تعالى بينهم في قوله عز وجل : [إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ](الحجرات : 10) ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كونوا عباد الله إخواناً » [20] ، فقال عليه رحمة الله : « على المؤمن أن يعادي في الله ، ويوالي في الله ، فإن كان هناك مؤمن ، فعليه أن يواليه وإن ظلمه ؛ فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية ؛ قال تعالى : [وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا] (الحجرات : 9) فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي ، وأمر بالإصلاح بينهم ؛ فليتدبر المؤمن : أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك ؛ فإن الله سبحانه بعث الرسل ، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه ، والإكرام والثواب لأوليائه ، والإهانة والعقاب لأعدائه ، وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر ، وفجور وطاعة ، وسنة وبدعة ، استحق من الموالاة والثواب

---

[20] (23) سبق تخريجه

بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر »[21]
وقد حرص الإمام - رحمه الله - على بيان الفصل التام بين طبيعة التعامل مع الكافرين بمقتضى عقيدة البراء ، والتعامل مع المؤمنين بمقتضى عقيدة الولاء ، مبيناً أنه لا تنقطع الموالاة عن مؤمن أبداً ، فقال : « الحمد والذم ، والحب والبغض ، والموالاة والمعاداة ، إنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه ، وسلطانه كتابه ؛ فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان ، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان »[22] ، وحذر شيخ الإسلام أيضاً من إطلاق العنان للنفس لتحب من تشاء وتبغض من تشاء دون تقيد بسلطان القرآن ومنهاج السنة ، فقال : « من الناس من يكون حبه وبغضه ، وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها ، لا بحسب محبة الله ورسوله ، وبغض الله ورسوله ؛ وهذا نوع من الهوى ، فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه : [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّه](القصص : 50) »[23] .
إن إحياء الموالاة بين المؤمنين ، هو استدعاء لموجبات ولاية الله ، وولاية الله موجبة لرحمته ونصرته ، وفي الوقت نفسه فإن التنكر لتلك الموالاة للمؤمنين ، والتماسها عند غير أهلها من موجبات الحرمان من الولاية الإلهية .عياذاً بالله . قال سبحانه : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ](المائدة : 54) .

---

[21] مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، (28/208) .
[22] (25) مجموع الفتاوى ، (28/201) .
[23] (26) رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، (1/354) .

قال حَبر الأمة ، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « من أحب في الله وأبغض في الله ، ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان ، وإن كثرت صلاته وصومه ، حتى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً »[24] .

أقْدِم ولا تتردد !

الإخاء روح يسري ، وفقه يُشاع ، وثقافة تنتشر ، وعلى العكس تماماً ، فإن الجفاء له روحه وفكره وثقافته ، ولكل من روح الإخاء والجفاء أهل ، ولكل منهما أنصار ورموز ومنظّرون ومندوبون ، مسوِّقون ومروِّعون .
وبقدر ما تُخدم قضايا الإصلاح يجيء الإصلاح ، وبقدر ما تخدم جهود الفرقة ، تعم الفرقة ، وفي أوضاعنا المعاصرة ، عندي ما يشبه اليقين ، بأن الجهود التي تبذل من أجل الوفاق والائتلاف ، لا تبلغ عشر معشار ما بذل ولا يزال يبذل من جهود الشقاق والاختلاف ، وإذا كان قد فرط من أمرنا في ذلك ما فرط ، مما لا يرضي الله سبحانه ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا أقل من المسارعة الآن إلى تدارك ما فُرط فيه ؛ قبل أن ينفرط ما تبقى من عقودنا وعهودنا ، ويسقط ما تبقى من شعاراتنا ومشاريعنا ؛ فالظرف قاهر ، والأزمات محكمة ، والعدو من كل صنف أصبحوا كصف واحد برأي واحد في تحدٍ سافر ، وعناد خطير ، هم فيه أولياء متناصرون ، وحلفاء متعاضدون : [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ](الأنفال : 73) .

---

[24] (27) حلية الأولياء ، لأبي نعيم ، (1/312) وجامع العلوم والحكم ، ص 30

نعم ! فساد كبير ، أن يتحد أعداؤنا ونتفرق ، وفساد كبير أن يتعاونوا على الإثم والعدوان ولا نتعاون على البر والتقوى ، وفساد كبير أن يكونوا على أفجر قلب رجل واحد منهم ، ولا نكون على أتقى قلب رجل واحد منا .
هل بقي هناك متسع للتردد في أهمية وإمكانية ، بل فرضية الانتداب للإصلاح ؟!
اندب نفسك أخي من الآن ، وشارك بعقلك وقلبك وروحك في إشاعة روح الوفاق والاتفاق ، فذاك عمل تغييري كبير ، ودور عظيم في (العمل الإسلامي) لا يحتاج إلى تنظيم أو جماعة ، أو تنظير أو تقعير ؛ فالأمر في غاية البساطة : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره » اعلم أهمية ذلك واعمل بذلك ، وادع الجميع من حولك إلى إحياء ذلك الهدي النبوي العظيم « لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا »[25] .لعل الله أن يجعلنا وإياك من المتقين .

إن روح الإخاء تلتقي مع صفاء الفطرة ، وإنه بقدر الغيرة على الدين يكون الحرص على ائتلاف أهل الدين ، وإن من علامة سلامة الفكر والعقل سلامة الصدر ، ومن أمارات رجاحة الرأي الشغف بالوفاق والنفور من الشقاق ، وأنت أيها القارئ ! نعم أنت أنت ... لا أراك إلا من الموفورين حظاً في صفاء الفطرة وسلامة الصدر ورجاحة العقل ، فليكن لك رأي ، ولتكن لك مشاركة في دفع تيار المصالحة الإسلامية والولاية الإيمانية نصحاً لله ولرسوله ولخاصة المسلمين وعامتهم .

وقد يقول قائل :

---

[25] مسلم حديث (4650) ، البر والصلة .

وما علاقة هذا الكلام بملف (التغيير القادم) أو موضوع (تغيير الخطط في مواجهة خطط التغيير) ؟ وهنا أقول : إن كل خطط الأعداء قد وضعت على افتراض بقاء المسلمين عامة ، والإسلاميين منهم خاصة في حال من الوهن والتشرذم والفشل الناتج عن التنازع والتخالف والفرقة ؛ فهم يعلمون عنا من خلال المنافقين بيننا كل ذلك ، ولهذا فهم يخططون وينفذون وهم آمنون من أي (مفاجآت) تضامنية على المدى القريب والمتوسط والبعيد ، ظانين أن هذه الأمة قد فُرغ منها ، فأيس عوامها من زعمائها ، وانفصلت قمتها عن قاعدتها على المستوى العام والخاص .
فدورنا الآن أن نغير خطنا في الفرقة والشقاق إلى خطط للوحدة والألفة والوفاق .

وحتى لا نكون (قدريين) أو (عاطفيين) أو (واعظين) فقط !

فهذه بعض خطوات (عملية) يمكن أن نفتتح بها عهداً جديداً لمرحلة جديدة لعمل إسلامي قائم على أسس الإخاء والتناصح والتراحم :

1 - انتصاب جمع من أهل العلم والدعوة والفكر ، من أنحاء مختلفة ، لمهمة وضع ورقة عمل ، لما يمكن أن يكون (ميثاق عمل إسلامي) يوضح بصورة علمية منهجية الخطوط العريضة التي ينبغي أن يتوافق العاملون في أهل السنة جميعاً على الالتقاء حولها ، مع بيان ما يجوز وما لا يجوز الاختلاف حوله ، وإبراز ماهية خلاف التنوع الجائز المحمود ، وخلاف التضاد المحرم المذموم ، وأخلاقيات المسلم عند وقوع الاختلاف ونحو ذلك ، على أن تنطلق هذه

الورقة من أساس راسخ قائم على علمي أصول الفقه وأصول الاعتقاد .
2 - إبراز أهم الدراسات الجادة في فقه الخلاف ، وأدب الحوار ، وأصول الجدال بالحسنى ، واستخلاص أهم ما يمكن توظيفه (عملياً) من تلك الدراسات في تنقية الأجواء الإسلامية ، والمسارعة إلى ما يمكن أن يكون (حملة مصالحة) علمية وإعلامية ، ترتكز على مفاهيم الوفاق والاتفاق والأخوة في ظل (عقيدة) الولاء والبراء ، و (شريعة) الاعتصام بحبل الله ، و (شعيرة) إصلاح ذات البين و (سلوك) المحبة والإخاء ، وذلك لدفع تيار عام في الأمة يدعو إلى مصالحة إسلامية ، وأتصور أن العديد من منابر الدعوة ، ودور النشر ، ووسائل الإعلام الإسلامي المقروءة والمسموعة والمشاهدة ، يمكن أن يقوم القائمون عليها بدور فاعل في ذلك ، يحتسبون فيه الأجر ، ويساهمون من خلال ذلك في المسيرة التي طالما طالب الناصحون للأمة بتفعيلها وهي (ترشيد الصحوة الإسلامية) .
3 - إضافة بند جديد إلى ما اشتهر مؤخراً بعمليات (المراجعة) بحيث تنطلق من ذلك البند عملية (مراجعة) جديدة وجادة للبرامج التربوية في التجمعات الإسلامية ، لتنقيتها من كل ما لا يرضي الله ورسوله ، من شوائب التعصب والتحزب ، وآفات الفرقة والاختلاف ، وهي موجودة بنسب متفاوتة في تلك البرامج ، ولكن مراجعتها تحتاج فقط إلى نوع من التجرد والإخلاص .
4 - عند صياغة برامج تربوية جديدة ؛ فمن المهم إعطاء قضية الولاء والإخاء والتآلف بين المسلمين ، مساحتها الكبيرة الجديرة بها ، حتى تتربى الأجيال الناشئة على غير ما تربت عليه الأجيال التي سبقتها ، وسيساعد على تلك النقطة ما جاء في النقطة رقم (2) .

فمن غير المنتظر أن تزول (آثار العدوان) الشيطاني على أخوتنا الإسلامية بين يوم وليلة ، بحدث قدري بحت كما سبقت الإشارة ولكنه التواصي بالحق والصبر ، حتى تنمو ثمرات البر والتقوى .

5 - من المهم إجراء دراسات محايدة لفهم خلفيات الخلافيات ، ورصد العوامل التاريخية والشخصية فيها ؛ فكثير من الخلافات متوارثة دون تمحيص ، والعديد منها أسبابه نفسية قبل أن تكون فقهية أو فكرية ، وبالإمكان حصر مسائل الاختلاف الحقيقية بين فصائل أهل السنة المعاصرين ، وإخضاعها لبحوث علمية جادة ، أو استصدار فتاوى معتمدة فيها ، من أهل العلم والفتوى ، لتقليل مساحات الاختلاف كلما أمكن .

6 - يمكن استحداث منابر متخصصة في شؤون العمل الإسلامي تسعى في جهود (التقريب) بين أهل السنة ؛ بحيث يكون بعضها على شكل مجلات ، أو برامج أو مواقع ، أو على الأقل زوايا خاصة بذلك ، تسمح بفتح حوار يدار بأسلوب راقٍ ، ونفوس صافية ، أو مستعدة للصفاء .

أعرف أن هناك العديد والعديد مما يمكن إضافته من مقترحات لدى المهتمين ، من أجل جهد أكبر في إحياء الوفاق الإسلامي ، ولعل جهودنا جميعاً تتضافر حسبة لله للمساهمة في تغيير الخطط ، قبل أن تدهمنا جميعاً خطط التغيير .